مُقَدِّمَة

الحمد لله الملك القدوس ، خلق الإنسان ، وعلّمه البيان ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى آل بيته الطَّيِّبين الطاهرين ، وعلى صحبه ، ومن تبعهم بإحسان أجمعين .

أمَّا بعـــد :

فقد شهد القرن الثامن الهجرى عناية كبيرة من علماء البلاغة والنقد ، فاشتغلوا بكتاب الإيضاح للقزوينى ، وشروحه ، ولكن فنّ البديع بخاصة نال من العناية ما لم يكن معهودا فى أى عصر من العصور ؛ فنُظِمَت فيه البديعيات ، وشُرِحَت ، فكان منها بديعية صفى الدين الحلى ، وبديعية العميان لابن جابر الأندلسى ، وبديعية عز الدين الموصلى ، وسار على نهجهم ابن حجة الحموى فى بديعيته ، فى القرن التاسع الهجرى .

وكان الصفدى أعظم البلاغيين والنقاد ، فى ذلك العصر ، وأكثرهم تأليفًا ، وأبعدهم أثرًا ، فقد اختطّ لنفسه طريقا تفرّد بها وأوسع نهجها ، وسار على دربه أكثر البلاغيين من بعده ؛ فهو أول من ألف كتابا فى فنّ واحد من فنون البلاغة ، فيما أعلم - فيما عدا التجنيس الذى يبدو أنّه سُبِقَ بالتأليف فيه منفردا - فكتب : « جنان الجناس » ، و « فض الختام عن التورية والاستخدام » ، و « الكشف والتنبيه عن الوصف والتشبيه » ، و « كشف السر المبهم فى لزوم ما لا يلزم » ، و « الهول المعجب فى القول بالموجب » ، وكان العلماء من قبله يجمعون كل فنون البلاغة فى كتاب واحد ، وقد اقتفى أثره من بعده ابن حجة فى « كشف اللثام عن التورية والاستخدام » ، والسيوطى فى « جنان الجناس » ، وغيرهما من البلاغيين والنقاد .

ولمَّا كان الصفدى يؤلف الكتاب فى فن واحد فإنّه يستقصى فيه كل ما يتعلّق بهذا الفن من العلوم العقلية والنقلية ، وما جاء فيه من الشواهد الأدبية ، ويكفى أنْ نعرف أنّ كتابه هذا الذى نقدّمه للقراء ، لأول مرّة يشتمل على ما يقارب ثلثمائة نص

من الشعر والنثر ، فى فن القول بالموجب ، فى الوقت الذى لا نجد فيه أكثر من ستة شواهد فقط ترددها كتب البلاغة القديمة ، ولا تزيد عليها ، أقول : يكفى أنْ نعرف هذا لندرك ما لهذا الكتاب من الأهميّة والقيمة .

ولا ترجع أهميته إلى كثرة شواهده ، فحسب ، بل ترجع - مع ذلك - إلى أنّه :

* كَشَفَ فيه عن النبع الذى استقى منه البلاغيون أصول هذا الفن ، وأوضح علاقته بعلم أصول الفقه ، ولم يسبق إليه .

* عَرَضَ فيه تعريف البلاغيين به ، وشواهدهم عليه .

* جمع فيه كثيرا من الطرائف ، والقصص التاريخى الممتع .

* يعتبر الكتاب ذا أهميّة كبيرة لدارسى علوم اللغة ، وبخاصة علم الدلالة Semantiqe الذى يدرس اللغة من حيث إنّها أداة للتعبير عما يجول بفكر الإنسان ؛ فالدلالة الاجتماعية للكلمات تتغير ، وتتطور باختلاف العصور ، والأفراد ، فينشأ للكلمة معنى جديد ، غير معناها المحفوظ فى المعاجم ، وهو ما يدرسه علم المفردات Lexicologie .

وقد يُشْتَقُّ من الكلمة صيغة غير متداولة من أوزان صياغتها أو تُجْمَع جمعا غير ما اعتاد الأقدمون جمعها عليه ، وهو ما يدرسه علم البِنْيَة Morphologie ، والكتاب ثروة نادرة من الكلمات التى شاعت فى القرن الثامن الهجرى ، والتى اكتسبت دلالات خاصة ، حاولت تفسيرها ، بقدر استطاعتى ، وأعترف بأنَّ هناك كثيرًا من الجوانب الغامضة تحتاج إلى الكشف عنها ، وتفسيرها ، وربّما توصّل غيرى إلى إماطة اللثام عن سرّها .

وقد جعلت الكتاب فى قسمين :

القسم الأول : قسم للدراسة ، فى فصلين :

الفصل الأول : جعلته للتعريف بالمؤلف ، وعصره ، وكتبه .

والفصل الثانى : عرّفت فيه بالكتاب ، وموضوعه ، ومخطوطته ، ووثقت نسبته لمؤلفه ، وأوضحت منهجه ، وعملى فى تحقيقه .

القسم الثانى : للكتاب المحقّق ، وهو فى مقدمة ، وفصلين :

المقدمة : عرّف فيها المؤلف بموضوع الكتاب ، وأصول العلم .

الفصل الأول : فيما جاء من هذا الفن من النوادر .

الفصل الثانى : فيما جاء فى هذا الفن من الشعر .

وذيّلت هذا الفصل بشواهد أخرى ، نظمها المؤلف فى هذا الفن ، وذكرها فى كتبه الأخرى .

وإنّى إذ أقدّم هذا الكتاب للدارسين أدعو الله سبحانه وتعالى أنْ ينفع به ، وأنْ يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم ، وخدمة للقرآن العظيم ، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين .